# حقيقة التأويـــــل عنـــد ابن قيّـــم الجـــوزيـــة فـــي كتابـــه : ( الصَّـــواعـــق المُرســـلة)

د. محمّـــد أبوالقاسم الحضـيري ـ كلية القانون والشريعة ـ جامعة نالوت

**الملخص:**

تحدثت في بدايـــة هذا البحث عن حـــياة ابن قيم الجوزية، وعن شيوخه وتلاميذه ومؤلفاته ، ثم تحدثت عن التأويل لغة واصطلاحاً. كذلك ذكرت أنواع التأويل ، من صحيح وتأويل باطل فاسد مبيناً الفرق بين تأويل الخبر ، وتأويل الطلب بشيء من التفصيل ، ثم بينت أن التأويل سبب من أسباب فساد الدين والدنيا ، وأنه أسهم في هدم أصول الإيمان والإسلام قديماً وحديثاً ، وكذلك تحدثت عن شـــؤم جناية التأويل ، وكيف استغله القرامطة ، والملاحـــدة ، والباطنية ، ثم تعرضت لتلك الحوادث التي وقعت بعد وفاة الرسول – صلى الله عليه وسلم - مستدلاً ببعض منها تاريخياً، وكذلك تحدث عما تعرّض إليه بعض العلماء من ضرب وسب وشتيمة مثل الإمام مالك ، ومحمد بن إسماعيل البخاري ، ثم تحدثت عن الرابط بين التأويل والتوحيد القولي ، والعملي ، الخبري ، والتوحيد القصدي الإرادي العملي ، وجئت بأمثلة على النوعين الأول والثاني.

***Research Summary :***

At the beginning of this research, I spoke about the life of Ibn Qayyim al-Jawziyyah. And about his elders, students and writings. Then I talked about interpretation, both language and idiom. Also I mentioned the types of interpretation, from a correct and false interpretation, indicating the difference between the interpretation of the news and the interpretation of the request in some detail. Then I showed that interpretation is one of the causes of the corruption of religion and the world. And that it contributed to the demolition of the fundamentals of faith and Islam, in the past and present. I also talked about the sins of the felony of interpretation, and how he exploited the Qarmatians, atheists, and esotericism, and they assumed that they had freedom of interpretation like others. Then I was exposed to those incidents that occurred after the death of the Messenger, inferring some of them historically. He also spoke about the beating, insult and insulting of some scholars, such as Imam Malik, Ahmad bin Nasr Al-Khuzai, and Muhammad bin Ismail Al-Bukhari.

Then I talked about the link between interpretation and monotheism verbal, practical, expert, and intentional and practical monotheism, and I came with examples of the first and second types. Then I concluded this research with the corruption that hermeneutics causes for all sciences.

## المُقدّمـــــة:

**نـــزل القرآن الكريم** مخاطباً العقل بتعاليم ، وتكاليف ، وقيم روحية وخلقية، وجعل مناط مسئولية المكلف من خـــلال هذا العقل الذي كـــرّم الله به الإنسان وفضله على بقية مخلوقاته ، ولا يمكن أن يتم ذلك التكليف ، ولا يتجســـد ذلك التشريف إلا إذا تحرك العقل مع النص المُوحى به من الله حركة تفاعلية تستجيب إلى أوامر الله وتوجيهاته والبعد عن منهياته وتحذيراته ، فلا يمكن غمط العقل بحجة تديّن بالوحي ، كما أنه لا يمكن التقصير في امتثال ما يدعو إليه الوحي بدعـــوى اكتفاء مهمة العقل لفهم الاصلاح واتباع الأحسن ، ولكن اللغة وسيلة تواصلية ، فإن في تعليلها عن بعض حقائق الوحي الخفية عن العقل تصبح تلك اللغة محدودة الدّلالة ، وقد تقصر بآلياتها البشريـــة عن كشف مراد الله - تعالى - من الوحي ، فكان التعبير بالإيحاء والتلميح والمجاز ، أي : تجاوز الكلمات للمعاني المعهودة التي وضعت لها إلى معاني جديدة عن العقل كالتعبير عن أحـــوال الآخـــرة غير المرئية وحوادث النشـــور والحساب غير المألوفة في العقل البشـــري ، ومع ذلك فإن بعض العلماء الجامدين على حرفيـــة النص يرفضـــون المجاز الذي هو لبّ التأويل ، ومن الذين استغلوا المجاز بأنواعـــه لتأويل بعض الآيات الجاحظ ، يقول عبدالجليل بن عبدالكريم ســـالم : أما الجاحظ وعلى الرغـــم من استغلاله للمجاز – بأنواعه المختلفة – لتناول بعض الآيات القرآنية للـــرد على الطاعنين في القـــرآن فلم يتعرض من قريب أو بعيد إلى المحكم والمتشابـــه بوصفها الثاني الذي ميّل القانون العام عند المعتزلة في التأويل"[1] .

واختلف كثـــيرٌ من العلماء ســـواء القدامى أو المعاصرين في معنى التأويل وحقيقته ، بين مؤيد ومعارض ، ولا شك أن الموضوع يحتاج إلى تبصر وتعقّل ، لأنه يمس جـــزاً مهماً من جوانب تفســـير وفهم الكتاب والسنة.

ولما للتأويل من أهمية بالغة في فهم وتفسير كتاب الله ، خصصت بحثي هذا لدراسة بعض جوانبه لفهم صحيحه من سقيمه والرد على المبتدعة والجهمية والمعطلة كما تناوله ابن قيم الجوزية في كتابه (الصـــواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة) مختصراً القول قدر الإمكان.

## أهميـــــة البحث :

من أجـــل الرد على المتكلمين والفلاســـــفة والرد على عقائد الجهمية والمعتزلة والمعطلة والأشاعرة.... . وبيان أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يدع بعده لقائل مقالاً ، ولا لمتأول تأويلاً ، وبيان أن التأويل في كتاب الله المراد به حقيقة المعنى الذي يـــــؤول اللفظ إليه ودحض أقواله بالحجة والدليل اخترت هذا الموضوع.

## إشكالية البحث :

التأويل هو : استكشاف علل دقيقة خفية للدلالات ، إلا أن هناك من استغل التأويل في حقيقته ، وسخـــــروه لخدمة أهدافهم وتفسيراتهم وتعليلاتهم ، وينبثق من هذه الإشكالية الأسئلة الآتية:

ما حقيقة التأويل ، وما أقسامه؟ وما النتائج المترتبة على فساد التأويل.

## أهداف البحث :

**1-** بيان التأويل الصحيح الذي لا يتعارض مع كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - .

**2-** سرد الأدلة والبراهين من القرآن والسنة على حقيقة التأويل.

**3-** دحض آراء المبتدعة والجهمية والمعطلة.

## فرضية البحث:

التأويل وارد بالكتاب والسنة وبنصوص صريحة إلا أن هناك من يحاول تفسيره لخدمة تأويلات تخدم تفسيرات فاسدة ما أنزل الله بها من سلطان. الأمر الذي يستوجب الرد على تلك التأويلات الخاطئة.

## تقسيمات البحث:

ينقسم هذا البحث إلى: المبحث الأول : معرفة حقيقة التأويل ومعناه ويشتمل على المطلب الأول: التأويل لغة واصطلاحاً والمطلب الثاني: التأويل فيما يخص كلام الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - المبحث الثاني: أقسام التأويل ويشتمل على: المطلب الأول: التأويل إخبار عن مراد المتكلم ، والمطلب الثاني: التأويل الصحيح والتأويل الباطل ، والمطلب الثالث : الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب ، والمبحث الثالث: التأويل سبب فساد الدين والدنيا. ويشتمل على ، والمطلب الأول: التأويل الفاسد سبب لهدم أصول الإيمان والإسلام ، والمطلب الثاني: التأويل سبب لكثير من الحوادث التي

وقعت بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - المطلب الثالث: التأويل الفاسد يفسد العلوم كلها إذا سُلط عليها.

## المبحث الأول ــ معرفـــة حقيقة التأويل ومعناه:

### المطلب الأول ـ التأويل لغة واصطلاحاً :

**التأويل في اللغة له معان متعددة منها :** التّـأويـل بمعنى : الرجوع والمآل والعاقبة والمصير : قال ابن منظـور: " يقال آل الشيء يـؤول أولاً ومآلاً. رجع ، وأول إليه الشيء : رجعه) [2].

التأويل فـي أصل اللغة الرجـوع إلى الأصـل ، أي : رد الشـيء إلى الهدف المقصود تحقيقه وهو بمعنى آخـر الوصول إلى الغاية المقصودة ، وهذا يقودنا إلى معرفة حقيقة التأويل الذي أُطلق على التفسير ومعرفة ما يخفى من الحقائق ومعرفة المآل ، كما جاء فـي قـولـه - تعالى - : **( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِـرُوا أَنْفُسَـهُمْ وَضَـلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)** [3]. والتأويل الذي يسعى الزائغون لمعرفته هو المآل في الدنيا كإحياء بعض الموتى أو إنزال العذاب رأي العين ، ومقصدهم الأساسـي في الأمرين الضلال والفتنة. وقد بين - سبحانه وتعالى- أن معرفة المآل اختص الله بها نفسه دون سواه ، أما الوصول إلى حقيقة المعنى فقد يدركها الراسخون في العلم ، قال – تعالـى - : **(هوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـابِ)** [4]. ، ومن خلال تفسير الآية يتبين أن التأويل بمعنى معرفة مآل ما اشتمل عليه القرآن من أخبار اليوم الآخر وغيره من المغيبات، ويعني كذلك المرجع والعاقبة والسياسة وعدة معان أخرى ، جمعت معاني اللفاظ متنوعة أشكلت بلفظ واحد لا لبس فيه.

**التأويل اصطلاحاً:** من أدق التعاريف في الاصطلاح ، ما ذكـره الراغب الاصفهاني في المفردات حيث قال: " التأويل هو رد إلى الغاية المرادة منه ، علماً كان أو فعلاً)[5] أما الآمـدي فيقول: " تأول فلان الآية ، أي : نظر إلـى ما يؤول إليه معناها" ([6] ، وأما الجوهـري فيقول : " التأويل تفسير ما يؤول إليه الشـيء " [7] ، وقد جاء في السنة النبوية قوله - صلى الله عليه وسلم - :" **لاَ صَـامَ مَنْ صَامَ الأَبَـدَ** " [8].

لقد تناول ابن قيم الجوزية موضـــوع التأويل في اللغة بشيء من التفصيل مستدلاً ببعض النصوص القرآنية لزيادة التوضيح حيث يقول :(التأويل : تفعيل من آل يؤول إلى كذا إذا صار إليه. فالتأويل التبصير ، وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه فآل وتأول ، وهو مطاوع أولته)[9] ، ثم يوضح أكثر فيقول: " ثم تسمّـــى العاقبة تأويلاً ؛ لأن الأمر يصير إليها ، ومنها قوله - تعالى - **( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )**[10] ، وتسمى حقيقة الشيء المُخبر به تأويلاً ، لأن الأمر ينتهي إليه ومنه قوله تعالى - **( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِـــرُوا أَنْفُسَـــهُمْ وَضَـــلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ)** [11]. والباحث يرى أن النظر هنا بمعنى الانتظار كقول الله - تعالى- : **( هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُـــور)** [12] ، والتأويل معرفة المآل والعاقبة ، بمعنى : لا ينظـــرون إلا أن يروا مآلهم ونهايتهم وسوء عاقبتهم ، وإنكارهم البعث والجزاء ، " فمجيء تأويله مجيء نفس ما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر والمعاد وتفاصيله والجنة والنار. ويسمى تعبير الرؤيا تأولاً بالاعتبارين ، فإنه تفسير لها وهو عاقبتها وما تؤل إليه" [13] ، وقال يوسف لأبيـــه : **( وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ)** [14] . والمعنى : أن تلك الرؤيا تحققت باليقين ، ويربط بين العلة ومقصود الفاعل في اللغة فيقول: " وتسمى العلة الغائبة والحكمة المطلوبة بالفعل تأويلاً ، لأنها بيان لمقصود الفاعل وغرضه من الفعل الذي لم يعرف الرائي له غرضه به ، منه قول الخضر عليهما السلام بعد أن ذكر له الحكمة المقصودة بما فعله من تخريق السفينة ، وقتل الغلام ، وإقامة الجدار بلا عوض" [15]. **(ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)** [16]، ويقول عبدالوهاب طويلة : " التأويل اصطلاحاً صـــرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخـــر مرجوح يحتمله لدليل ظنّـــي" [17] .

لقد أبان ابن قيـــــم الجوزية المعنى لغة واصطلاحاً عند أهل التفســـــير ، وعند المتكلمين. فظهر المعنـــى كأفضل ما يكون ، ولكن ما هـــي أقســـام التأويل؟ وهل هناك ما هـــو صحيح ، وما هو باطل؟

**التأويل عند المتكلمين :** من علماء الكلام الحســـن البصري وأبي عبيدة والفـــرّاء، ومما يميزهم عن غيرهم أنهم لم يربطوا تأويلاتهم بقانـــون أو ضوابط منهجية ثابتة، على خلاف المعتزلة الذين اعتمدوا على العقل وحاولوا جاهدين أن يضعوا أصولاً عامـــة للتأويل تمكنهم من تأويل آيات القرآن الكريم تأويلاً يتفق مع ثوابتهم العقلية في جانبي العدل والتوحيد وفي ذات الوقت تمنع خصومهم التعليل والاستدلال والتأويل ضد تلك الاصول ، يقول نصر حامد أبوزيـد: " ولقد أجمع الدارسون على أنهم وجدوا في المحكم والمتشابه هذه المشكلة القديمة ، منفذاً لإرساء ضوابط التأويل" (18).

أما المعتزلة والجهمية وغيرهم من فرق المتكلمين فمرادهم بالتأويل صرف اللفظ عن ظاهره ، وحقيقته إلى مجازه ، وما يخالف ظاهـــره وهذا هو الشائع في عرف المتأخرين من أهل الأصول ، والفقه. ولهذا يقولون: التأويل على خلاف الأصل والتأويل يحتاج إلى دليل، " وهذا التأويل هو الذي صنف في تسويغه وإبطاله من الجانبين مصنف جماعة في تأويل آيات الصفات وأخبارها كأبي بكر بن فورك وابن مهدي الطبري وغيرهما. وعارضهم آخرون فصنفوا في إبطال تلك التأويلات ، ومن الذين عارضوهم في تلك التأويلات ، محمد بن الحسين بن محمد .. أبويعلى الذي كان له ردود على الاشعرية والكرامية والسالمية والمجسِمة ، وكذلك عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة وهو من أئمة الحنابلة له مؤلفات عديدة منها ذم التأويل وغيره..." (19)

وقد يعنـــي التأويل تغير المعنى اللغوي الظاهر من النص المتبادر من صفته اللغوية لدى قراءته أو سماعه إلى معنى تحتمله الصيغة بوجه من وجوه الاحتمال المعتبرة على أنه هو مراد الشارع في غالب ظن المجتهد بدليل قوي مرجح. فالتأويل تصرف في المعاني لا في الالفاظ ليتسق بينها لتبين مراد الشارع منها ، وصرف اللفظ عن معناه الحقيقي.

**المطلب الثاني ــ التأويل فيما يخص كلام الله ورسوله – صلى الله عليه وسلم - :**

يقول ابن قيم الجوزية : " فالتأويل في كتاب الله - سبحانه وتعالى - المراد به حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، وهي الحقيقة الموجودة في الخارج ، فإن الكلام نوعان : خبر وطلب. فتأويل الخبر هو الحقيقة ، وتأويل الوعد والوعيد في نفس الموعد والمتوعد به. وتأول ما اخبر الله به من صفاته وأفعاله ، نفس ما هو عليه سبحانه ، وما هو موصوف به من الصفات العُلى" (20).

**التأويل عند أهل التفسير:** لم يـــرد في القرآن الكريم كلمة (فسر) تحديداً. أما كلمة (تفسير) فقد ذكرت مرة واحدة في صورة الفرقان. قال - تعالى- : **(وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ**

**إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا)** [21]. جاء في مختار القاموس معنى: " الفسر والتفسير : الابانة. وكشف المغطى. والفعل كضرب ونصر. قال ثعلبة: التفسير والتأويل واحد" [22]

لقد تعهّد سبحانه وتعالى بحفظ كتابه المنزل على سيدنا محمد من التبديل والتغيير. ولهذا أخبر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - . بأنه معه ولن يتركه ، وكل ما جاء الكفار بمثل أو شبهة ، فإن الله يتولى نقض ذلك ، حيث ينزّل عليه من الآيات ما فيها الرد على اعتراضهم وشكوكهم ، والمراد بالمثل هنا في قوله – تعالى - ( **وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ**) هو الشك أو الشبهة طلب انزال القرآن جملة واحدة ، كما أنزل الله التوراة والانجيل ، فجاء قول الحق بما يدحض اعتراضهم ويبدد شكوكهم : ( **إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا** ). فقد وصف الله تعالى الآيات النازلة من القرآن بصفتين: فهي الحق المبين وأحسن تفسيراً. والحق هنا في مقابلة الباطل ودحضه. والمعنى : الكفار يأتوك (بمثل) ونحن نأتيك بالحق لنقضه. ومعنى ( **وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**). أي : أنها أحسن بياناً وتوضيحاً وجدالاً " التأويل عند أهل التفسير والسلف من أهل الفقه والحديث ، فمرادهم به معنى التفسير والبيان. فهذا التأويل يرجع إلى فهم المعنى وتحصيله في الذهن ... ومنه قول الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية فيما تأولته من القرآن على غير تأويله فأبطل تلك التأويلات التي ذكروها ، وهي تفسيرها المراد بها" [23]

**التأويل في عصر الصحابة :** جاء معنى التأويل في عصر الصحابة - رضي الله عنهم- بمعنى التفسير. حيث قال - صلى الله عليه وسلم - لابن عباس وهو يدعو له: " **اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ** " [24] فالتفسير والتأويل عند ابن عباس بمعنى واحد. ومثال ذلك تفسير ابن عمر رضي الله عنه لحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - : " **لاَ تَصُومُوا حَتَّى تَرَوُا الْهِلاَلَ، وَلاَ تُفْطِرُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَاقْدُرُوا لَهُ**» [25] ، وعن نافع " **كان ابن عمر إذا مضى من شعبان تسعة وعشرون يوماً يبعث من ينظر له الهلال فإن رأى فذاك ، وإن لم ير ، ولم يحل دون منظره سحاب ولا قتر أصبح صائماً**" [26].

ويمكن القول إن هناك قسماً من الصحابة يرون أن التأويل يتفق تماماً مع المعنى اللغـــوي ، فالقرآن نزل بلسان عربي مبين ، والصحابة أقدر الناس على فهم أساليب اللغة ومدلول ألفاظها ، ومجمل القول التأويل ضرب من الاجتهاد بالـــرأي في عصر الصحابة ، فهو يتعلق بالمعاني دون الألفاظ ، والغاية من وراءه بيان مقصد الشـــرع من النص.

## المبحث الثانـــــــــي ـ أقســــــــام التأويل

### المطلب الأول ـ التأول إخبار عن مـــراد المتكلم :

التأويل في حقيقته ومعناه إخبار عن مراد المتكلم ومقصده ، وأنه أراد ذلك المعنى فهذا الخبر إما صادق إن كان ذلك المعنى هـــو المفهوم من لفظ لمتكلم ، وإما كاذب إن كان لفظه لم يدل عليه ، وهذا هو الإخبار عن المتكلم أنه أراده وهو إما صادق أو كاذب ؛ ولكن كيف لنا أن نعرف مراد المتكلم؟ ابن القيم يجيب على ذلك بقوله: " فهذا الموضوع مما يغلط فيه كثير من الناس غلطاً قبيحاً ، فإن المقصود فهم مراد المتكلم بكلامه فإذا قيل له معنى اللفظ كذا – كذا. كان إخباراً بالذي عناه المتكلم ، فإن لم يكن هذا الخبر مطابقاً كان كذباً على المتكلم ، ويعرف مراد المتكلم بطرق متعددة منها:

أن يصرح بإرادة ذلك المعنى.

ومنها أن يستعمل اللفظ الذي له معنى ظاهر بالوضع ولا يتبين بقرينة تصحب الكلام أنه لم يرد ذلك المعنى ، فكيف إذا حفّ بكلامه ما يدل على أنه إنما أراد حقيقته ، وما وضع له. كقوله ـ تعالى ـ :( **وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)** [27]. وكتأويل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: " **هل تُضارُّونَ في رُؤيَةِ الشَمْسِ في الظَّهيرة، ليست في سَحَابَةٍ؟ " قالوا: لا، قال:" هل تُضَارُّون في رؤية القَمَر ليلةَ البدر ليس في سحابة؟ " قالوا: لا، قال: "والذي نفسي بيدِه لا تُضَارُّون في رُؤيته، إلا كما تُضَارُّون في رؤية أحدِهما"**[ رواه أبوداود في سننه ] ، " واللهُ أشَـــدُّ فرحًا بتوبة عبده من أحدكم أضل راحلته بأرضٍ دوّية مهلكة عليها طعامه ، وشرابه ، فأيس منها ، فنام ، ثم استيقظ فإذا راحلته عند رأسه)[28] ، والله أشد فرحاً بتوبة عبده ، من هذا براحلته ، فهذا مما يقطع السامع فيه بمراد المتكلم...) [29]. والأصل أن يحمل الكلام على ظاهره ، وذلك لكي نأمن الوقوع في الخطأ. ولكن هذا الظاهر قد يختلف أو يحيط به قرائن ودلائل من خارجه تجعله على غير حقيقة ظاهـــرة ليكون بذلك الأصـــح والأرجـــح ، فالمتكلم أحياناً يقصد بكلامـــه خلاف ظاهره، وزيادة في التوضيح نقول: من الضروري أن يكون الدليل الذي يصرف اللفظ عن معناه الظاهر صحيحاً وراجحاً على ظهور معنى اللفظ في مدلوله لأن الاصل العمل بالظاهر فلا يرفع الظاهر وينتقل إلى التأويل إلا لقرينة قوية ، ولذلك يجب أن يكون الدليل الصادق للفظ أو الذي صرف اللفظ عن معناه الظاهر ومدلوله أقوى على ظهور اللفظ في مدلوله أصلاً.

**المطلب الثاني ـ التأويل الصحيح والتأويل الباطل:**

لا يعتبر التأويل صحيحاً إلا إذا توفرت له شروط ، يقول أحد علماء التأويل (إن التأويل خلال الأصل والواجب العمل بالظاهر دون التأويل لأن الالفاظ والنصوص قوالب لمدلولاتها الظاهرة ولا يجوز العدول عن ذلك إلا بدليل قوي راجح ، وصحيح أو سبب يقتضي التأويل. وعليه فالعام يبقى عاماً حتى يرد ما يخصصه ، والمطلق يبقى مطلقاً حتى يرد ما يقيده ، والأمر للوجوب والنهي لا للتحريم ، حتى يكون هناك دليل على صرفها إلى غير ذلك والأصل في الكلام الحقيقة)[30].

ونظراً لأهمية الموضوع فقد وضع العلماء شروطاً للتأويل (وهي مشتقة من منطق التشريع في مقدراته ومقاصده الاساسية وقواعده العامة وأحكامه ، لقد حافظت تلك الشروط على روح الشريعة وعلى سلامة الخطاب كما يفهمه أهل اللغة والاستنباط ولا يعد التأويل صحيحا إلا بها ، وإلا أصبـــح التلاعب بالنصوص والألفاظ الشرعية باباً لا ينســـد.

من هنا كان التأويل بشروطه متعلقاً بمنطقية المعاني واتساقها كي لا تجد تعارضاً مع الـــروح العامة في التشريع فيما تقرره النصوص في ظاهرها، وتجد التأويل متعلقاً تخصيصاً وتقييداً وصرفاً إلى المجاز عن الحقيقة وتوفيقاً بين المتعارضين ظاهرياً من الالفاظ والنصوص وذلك بدليل صحيح راجح قوي" [31].

**أهم الشروط التي يجب توفرها في التأويل الصحيح :**

1- ( أن يكون المتأول أو من يقوم بالتأويل الناظر في النص المتأول له أهلاً للتأويل أو الاجتهاد)[32]. فالتأويل منهج من مناهج الاجتهاد بالرأي. وإلا تقوّل على الله تعالى بلا علم ، والله - تعالى - يقول ( **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** )[33].

2- أن يكون اللفظ أو النص المراد تأويله قابلاً للتأويل أو مما يقبل التأويل أصلاً وداخلاً في مجاله تكون دلالته على المحكم ظنية – ظاهر هذا المعنى المصروف عنه فالمفسر والمحكم لا مجال فيهما للتأويل وما عدا ذلك يشمله التأويل حتى الظاهر والنص عند الحنفية في الاحكام الشرعية العملية. يقول الامام الشاطبي في شروط التأويل: ( أن يكون اللفظ المؤول قابلاً له ، وذلك أن الاحتمال المؤول به إما يقبله اللفظ أو لا ، فإن لم يقبله فاللفظ نص لا احتمال فيه فلا يقبل التأويل وإن قبله اللفظ فإما أن يجري على مقتضى العلم أو لا )[34]. وحتى تكون الصورة كاملة في ذهن المتلقي نستدل ببعض الآيات القرآنية. ففي قوله - تعالى- :( **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ**

**بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِـرِ)** [35]. فالمطلقات لفظ عام يتناول الزوجة المدخول بها والصغيرة والمحتاضة والآيســـة والحامل ... ، والأصل أن العام يشمل كل أفـــراده ؛ لكن جاءت نصوص التي صرفت هذا العموم عن ذلك ، ومنها وقوله - تعالى- :( **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا)** [36]. فخرج بهذا النص الزوجة غير المدخول بها. وقوله - تعالى- :( **وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا)** [37] . فخرج من هذه الآية الصغيرة والآيسة والحامل.

3- أن يقوم التأويـــل وهو خـــــلال الأصل على دليل معقول من نص أو قياس أو الإجماع أو حكمة الشرع ومبادئه العامة. يقول الإمام الشاطبي: " التأويـــل يجب أن يحمل على وجه يصبح كونه دليلاً في الجملة ، فـــرده إلى ما لا يصح رجوعـــه إلى أنه دليل لا يصح على وجهه ، وهـــو جمع بين النقيضين" ، ومثاله قول الله - تعالى - : **( وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا )**[38] . تأويل من تأول لفظ الخليل بالفقير ، فإن ذلك يصيّر المعنى القرآني غير صحيح" [39] ؛ لأن إبراهيـــم - عليه السّـــلام - الذي يقدّم العجل الســـمين المشوي لضيوفه من عند أهله لا يصح أن يعد فقيراً.

4- أن يكون دليل التأويل الذي يصـــرف اللفظ عن معناه الظّـــاهـــر قوياً صحيحاً راجحاً. ومثال ما يقع من تعارض ظاهـــري بين نصّ خبري وأصل عام أنه - صلى الله عليه وسلم - قال: " **إِنَّ الْمَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْـــهِ** " [40]. وهذا يتعارض مع أصل عام في القرآن حيث يقول - تعالى- :( **وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْـــرَى )**[41].

5- أن يكون التأويل موافقاً لوضع أهل اللغة ولو على سبيل المجاز أو أن يكون اللفظ محتملاً بالمعنى الذي آل إليه ولو احتمالاً مرجوحاً. وقد جرت عادة صاحب الشرع على تخصيص العام في أغلب نصوصه حتى قال علماء الاصول : " ما من عام إلا خصص" [42].

6- (إذا كان التأويل بالقياس فيشترط أن يكون جلياً لا خفياً وهذا عند الشافعية)[43].

7- ألا يؤدي الجمع بالتأويل إلى بطلان نص من النصوص أو جزء منه ومثاله قوله - تعالى - : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ)** [44].

يقول ابن القيم في التأويل الصحيح: ( فالتأويل الصحيح هو القسمان الأولان ، وهما حقيقة المعنى وما يـــؤول إليه في الخارج ، أو تفسيره وبيان معناه. وهذا التأويل يعم المحكم والمتشابه والأمـــر والخبر ، ويؤكد قوله بما قاله جابر بن عبدالله - رضي الله عنهما - في حديث حجة الوداع: " ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرنا يتنزل عليه القرآن ، وهو يعلم تأويله فما عمل به من شيء عملنا به" [45]. فعلمه- صلى الله عليه وسلم - بتأويله هو علمه بتفسيره وما يدل عليه ، وعمله به هو تأويل ما أمر به ونهي عنه. ويربط بين قول الله - تعالى -( **لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا** )[46]. وبين الرؤيا التي رآها النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله: وكان دخولهم المسجد الحرام عام القضية آمنين هو تأويل هذه الرؤيا التي رآها رسول الله- صلى الله عليه وسلم - وأنزلها الله في كتابه)[47].

**أما التأويل الباطل** فيعرفه ابن القيم بقوله: " التأويل الذي يخالف ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة هو التأويل الفاسد ، ولا فرق بين باب الخبر والأمر في ذلك" [48]، ويقول الشوكاني فيما يدخله التأويل قسمان : " والثاني الأصول كالعقائد وأصول الديانات وصفات الباري عز وجل وقد اختلفوا في هذا القسم على ثلاثة مذاهب :

**الأول** : أنه لا مدخل للتأويل فيها بل يجري على ظاهرها ، ولا يـــؤول شيء منها وهذا قول المشبهة الذين شبهوا الخالق بالمخلوق ومعظمهم من المعتزلة.

**والثاني**: أن لها تأويلاً لكن تمسك منه ، مع تنزيه اعتقادنا عن التشبيه والتعطيل بقوله - تعالى- : **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـــابِ)** [49].

**والثالث :** إنها مؤولة كما قال ابن برهان : " والأول من هذه المذاهب باطل والآخران متقولان عن الصحابة ، ونُقل هذا المذهب الثالث عن علي وابن عباس وابن مسعود" [50].

ونخلص إلى أن المذهب الأول باطل ، وهو مذهب المشبهة الذين قالوا بتشبيه الله بالمخلوقات ، ونسوا قول الله - تعالى - :( **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)** [51] ، يقول محمد أحمد أبو زهـــرة : " هذا لا يعد تأويلات من كل الوجوه ؛ لأنه التفسير بالمجاز ، والمجاز المشهور يكون فهمه من ظاهر النص لا مـــن تأويله" [52].

ويتحدث ابن القيم على أنواع التأويل الباطل فيقول:

**أولها** : ما لم يحتمله اللفظ بوصفه كتأويل قوله - صلى الله عليه وسلم -: " حتى يضع رب العزة عليها رجله" بأن الرجل جماعة من الناس ، فإن هذا لا يعرف في شيء من لغة العرب البتة أو جمع ، وإن احتمله.

**ثانيها** : ما لم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع ، وإن احتمله مفرداً. كتأويل قوله- تعالى- : (**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ)** [53].

**ثالثها:** ما لم يحتمله سياقه وتركيبه ، وإن احتمله في غير ذلك السياق ، كتأويل قوله - تعالى- : (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ** )[54]، بأن إتيان الرب إتيان بعض آياته التي هي أمره ، وهذا يأباه السياق.

**رابعها :** ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب ، وإن ألف في الاصطلاح الحادث ، وهذا موضع زلت فيه أقدام كثير من الناس ، وضلت فيه أفهامهم حيث تأولوا كثيراً من ألفاظ النصوص بما لم يؤلف استعماله في لغة العرب.... .

**خامسها**: ما ألف استعماله في ذلك المعنى ، لكن في غير التركيب الذي ورد به النص فيحمله المتأول في هذا التركيب الذي لا يحتمله على مجيئه في تركيب آخر يحتمله. وهذا من أقبح الغلط والتدليس.

**سادسها :** اللفظ الذي اضطر استعماله في معنى هو ظاهر فيه ولم يعهد استعماله في المعنى المؤول.

**سابعها**: كل تأويل يعود على أصل النص بالإبطال فهو باطل .

**ثامنها :** تأويل اللفظ الذي له معنى ظاهر لا يفهم منه عند إطلاقه سواه ، بالمعنى الخفي الذي لا يطلع عليه إلا افراده من أهل النظر ، والكلام.

**تاسعها :** التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو في غاية العلو والشرف ، ويحمله إلى المعنى دونه بمراتب كثيرة.

**عاشرها :** تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه)[55].

ومن الذين أضلهم الله عن هداه أولئك الذين حاولوا جاهدين تأويل المتشابه من غير أن يلاحظوا التوافق بينه وبين الآيات المحكمات وهن أم الكتاب ؛ ولذا قال - سبحانه وتعالى- : (**هوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ**

**فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـــابِ )**[56]. وهذا يدل دلالة واضحة على أن الذين يتلقون هدى القرآن الكريم قسمان ، القسم الأول يتلقى الهدى القرآني مستنيراً بنوره آخذاً بهديه ؛ ما تيقن منه يهتدي به ، وما لا يعرفه يهتدي به أيضاً ، وما لا يعرفه يؤمن به ويفوض الأمر إلى الله. أما القسم الثاني فقد زاغ ، فأزاغه الله عن النور المبين. أما الراسخ في العلم فيقول: **(رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** [57]. والزيـــغ هنا هو الميل عن الاستقامة ، والتزايـــغ التمايل ، والمعنى الإجمالي مائل عن الطريق السوي في طلب الحق ، وهذا الصنف من البشر لا يتجه إلى المحكم من القرآن ؛ بل يتبع ما تشابه منه خاصة آيات الصفات التي توهم التشبيه وفي الحقيقة من المتشابه كقوله – تعالى- :**( إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ )** [58]. وقوله - تعالى- : **(وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)** [59]. وقوله - عز من قائل -: **(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى )**[60].

فالمؤمن الحق يقول آمنا به كل من عند ربنا ، وهذا هو نهج السلف الصالح. أما الخلف فكثير من المتأولين يقولون إن اليد هي القدرة ، والاستواء هو الاستيلاء والوجه هو الذات. وهم يعتبرون تلك الآيات من المتشابه ولا غرابة في ذلك فهناك الكثير من العلماء من لم يعتبر آيات الصفات من المتشابه إنما المتشابه عند جلهم هو ما يكون خاصاً بالغيب الذي لا يعلمه إلا الله مثل: الجنة والنار ، والروح وما يكون من نعيم وعقاب وثواب في اليوم الآخر.

**ونجمل القـــول** بأن التأويل يكون باطلاً إذا لم يكن ثمة موجب له ، أو كان له موجب ولكنه لم يلتزم فيه بمنهج التأويل الصحيح الذي أقره الشرع أو مجانباً للنصوص الثابتة القطعية.

**المطلب الثالث ـ الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب :**

يتحدّث ابن القيم عن نوعـــين من الكلام حسب رأيه وهما : خبر ، وطلب ، ثم يوضح الفرق بينهما قائلاً: " لما كان الكلام نوعان : خبر وطلب ، وكان المقصود تصديقه ومن الطلب امتثاله ، وكان المقصود من تأويل الخبر هو تصديق مخبره ، ومن تأويل الطلب هو امتثاله، وكان كل تأويل يعود على المخبر بالتعطيل ،وعلى الطلب بالمخالفة تأويلاً باطلاً. والمقصود بين تأويل الأمـــر والنهي ، وتأويل الخبر ، فالأول معرفته فرض على كل مكلف ؛ لأنه لا يمكنه الامتثال إلا بعد معرفة تأويل " [61].

لقد أجمعت الأمة على أن أعلم الناس بالتأويل هم الراسخون في العلم والدليل على ذلك عدم تنازعهم واختلافهم في آيات الصفات وإن حدث تنازع فهو في آيات الأحكام. فالرسوخ الحقيقي لا يكون في كثرة العلم ، بل الرســـوخ رسوخ الإيمان الذي لا تشوبه شائبة في القلب ، وشعارهم في ذلك قوله - تعالى - : **(وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِـــخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَـــابِ)** [62]. فعلم الانسان مهما وصل أمام علم الله ناقص، فكم من راسخ لا يرى أنه راسخ ، وكم من زائغ يرى أنه من أرســـــخ الراسخين.

ويبين ابن القيم سبب النزاع بين أهل الاجتهاد معزياً ذلك إلى دلالة اللفظ التي قد تكون أحياناً غير جلية أو للتشابه. فيقول: " وقد يكون اللفظ غير جلي فيشتبه المراد به بغيره. فهنا معترك النزاع بين أهل الاجتهاد في تأويله ولأجل التشابه وقع النزاع فيفهم هذا منها معنى فيؤولها به ويفهم منها غيره معنى أخر فيؤولها به. وقد يكون كلا الفهمين صحيحاً ، والآية دلت على هذا ، ويكون الراسخ في العلم هو أولها بهذا ، ومن أثبت أحد المعنيين ونفى الآخر أقل رسوخاً" [63].

وقد يكون معنى النص واضحاً لا يقبل التأويل فلا تختلف الأمة عليه ولا يتنازع الراسخون في العلم أو غيرهم عليه. وقد يكون النص قابلاً للتأويل فيحدث النزاع كما حدث بين الصحابة في تأويل عديد الآيات. ويفصل ابن القيم القول في بعض النصوص القابلة للتأويل. والتي أحدثت نزاعاً بين الصحابة حيث يقول في قوله – تعالى- : **(وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ )** [64]. سبب خلافهم هل هو الأب أم الزوج؟ كذلك تنازعوا في تأويل قوله- تعالى - : **( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا )** [65]، سبب الخلاف هل هو الجماع أو اللمس باليد أو القبلة أو نحوها. كذلك قوله - تعالى- : **( وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا )** ، هل هو المسافر يصلي بالتيمم مع الجنابة؟ أم المجتاز بمواضع الصلاة كالمساجد وهو جنب؟. وتنازعوا في تأويل ذوي القربى المستحقين من الخمس هل هم قرابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو قرابة الإمام، وتنازعوا في تأويل قوله تعالى - : **( وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** [66] ، هل يدخل فيه قراءة الصلاة الواجبة أم لا؟ ، وتنازعوا في تأويل قوله- تعالى - : **( وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا**

**يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ)** (67) ، هل تناول اللفظ الحامل ، أم الحائل فقط؟. وتنازعوا في قوله تعالى - : **( حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ )** (68) ، هل يدخل فيه ما مات في البحر أم لا؟ وأمثال ذلك ولم يتنازعوا في تأويل آيات الصفات وأخبارها في موضع واحد ، بل اتفقت كلمتهم وكلمة التابعين بعدهم على إقرارها وإمرارها ، مع فهم معانيها ، وإثبات حقائقها وهذا يدل على أنها أعظم النوعين بياناً وأن العناية ببيانها أهم لأنها من تمام تحقيق الشهادتين وإثباتها ومن لوازم التوحيد ، فبينها الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم - بياناً شافياً لا يقع فيه لبس.

ويتحدث ابن القيم عن درجة فهم آيات الأحكام فيقول: " ، ولهذا آيات الأحكام لا يكاد يفهم معانيها ألا الخاصة من الناس ، وأما آيات الأسماء والصفات فيشترك في فهمها الخاص والعام ، أعني فهم أصل المعنى ، لا فهم الكنه والكيفية. ولهذا أشكل على بعض الصحابة قوله- تعالى - : ( **وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ**)(69). ولم يشكل عليه ولا على غيره قوله تعالى- :( **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)** (70) ، وأمثالها من آيات الصفات. وأشكل على عمر بن الخطاب آية الكلالة ولم يشكل عليه أول سورة الحديد وآخر سورة الحشر وأول سورة طه ، ونحوها من آيات الصفات. وأيضاً فإن بعض آيات الأحكام مجملة عرف بينها بالسنة كقوله تعالى: فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ (71). فهذا في قدر الصيام والإطعام فبينته السنة (72).

ولكن ماذا يحدث لو حاد التأويل عن هدفه الأسمى؟ وما هي الأضرار التي تلحق الأمة جراء ذلك؟. هذا ما سنتناوله في المبحث الثالث.

## المبحث الثالث ـ التأويل سبب فساد الدّين والدنيا :

### المطلب الأول ـ التأويل الفاسد سبب لهدم أصول الإيمان والإسلام:

قسم الأصوليون التأويل إلى عدّة أقسام ، أهمها التأويل القريب والتأويل البعيد ، وهناك من أضاف التأويل الفاسد ، وهو الذي نحن بصدده ، فهو ما لا يحتمله اللفظ لعدم وصفه له وعدم العلاقة بينه وبين ما صنع له ، إلا أن هذا النوع لم يجد قبولاً عند الكثير

من الأصوليين وعلتهم في ذلك أن ما لا يحتمله اللفظ ليس من أقسامه. والرأي عندي أنه لا مانع شرعي يمنع إدراج هذا القسم في التأويل ؛ بل يجب الإشارة إليه لبيان فساده ، ولكن ما هو التأويل الفاســـد؟ هو كل تأويل لا يستند إلى دليل عقلي أو شرعي يقبله العقل والمنطق ، ومن أمثلة التأويل الفاسد ما أولته الفئة الضالة المضلة الباطنية بقولهم : " الوضوء عبارة عن موالاة الإمام ، والصلاة هي عبارة عن الناطق الذي هو الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، والغسل تجديد العهد لمن أفشى سراً من أســـرارهم ، وإفشاء الســـر هو الاحتلام ، والكعبة هي النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والباب هو علي ، والصفاء هو النبي - صلى الله عليه وسلم - ، والمروة هي علي ، والطواف بالبيت سبعاً موالاة الأئمة السبعة ، والشياطين هي الظاهرية وابليس وآدم عبارة عن أبي بكر وعلي ، إذ أمر أبوبكر بالسجود لعلي والطاعة له فأبى واستكبر ، والدجال هو أبوبكر وكان أعوراً إذ لم ينظر إلا بعين الظاهر دون عين الباطن ، ويأجوج ومأجوج أهل الظاهر" [73] ، لقد تأول الباطنية ، والبهائية والرافضة بتأولات هي بعد عن الحقيقة وعن العقل أبعد.

إذا نظرت بعين المنصف إلى سبب فساد العالم اليوم ستجد أسباباً كثيرة . ولكن أهمها التأويلات المختلفة المستعملة في آيات القرآن الكريم. ولعل ما أصاب أتباع الإسلام من التباين والاختلاف وتفرق الكلمة وفساد ذات البين ، حتى أصبح الكثير منا يكفر ويلعن بعضهم بعضاً ، بل وصل الأمر إلى سفك الدماء بين الكثير من الطوائف والفرق واستحلال الأموال والأعراض والأنفس. ويمكننا القول إجمالا أن بعض أنواع التأويل هو أصل كل فساد وفتنة ، وأساس كل ضلال وبدعة.

ولعل طرد إبليس من الجنة ولعنه إنما كان بسبب التأويل ، فإنه عارض النص بالقياس وقدمه عليه وتأول لنفسه أن هذا القياس العقلي مقدم على نص الأمر بالسجود فإنه قال: **(قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)** [74]. والمعنى : سأله الله - جل جلاله- ما منعه عن السجود فكان جوابه شارحاً ( **أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ)** ذكر ذلك في غفلة من أمره ، فالله - تعالى - خالق النار وخالق الطين وخالقه هو والذين أمرهم الله بالسجود ولمن أمرهم بالسجود له ، فالله هو الخالق المصوّر ، وهو الذي اختار النار له ، واختار الطين لآدم - عليه السلام - ، واختار- سبحانه وتعالى - أن يسجد إبليس الناري لآدم المخلوق من طين ، فكيف يعترض عليه وهو خالقه؟ ولعل هذا ضلال في الفهم وسوء في التقدير ، وقلة في الادراك ، وقد قيل - أيضاً - أن سبب خروج آدم من الجنة كان سببه التأويل

، جاء ذلك في قوله - تعالى- :( **قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ** ) [75] ، فالله كـــرّم آدم بأن ناداه باسمه ، وأباح له السكن هـــو وزوجه حواء الجنة ، وأباح لهما الأكل من ثمارها ، ولكن حـــرّم عليهما الأكل والاقتراب من شـــجرة معينة ، امتحاناً عسيراً لقوة نفسيهما ، وشدة عزمهما ، وبين سبحانه وتعالى لهما إذا أكلا منها كانا ظالمين لعصيان أمر ربهما ويقال أن أول الظلم ضعف إرادة الظالم ، وكان نهي الله - تعالى - لهما ألا يقربا هذه الشجرة ، والنهي عن القرب هو نهي عن الأكل ، والله لم يذكر نوع الشجرة فلا يجوز البحث في ماهيتها. مادام الله لم يسمها ، ولكن إبليس وجد الباب الذي يدخل منه ليوسوس لهما. فهو يعلم أن الإنسان له الرغبة الجامحة في العلو والتباعد ، وكانت النتيجة خروج آم وزوجه من الجنة.

ويتحدث ابن القيم عن أشـــرف أنواع الخبر قائلاً: "... فعمدوا إلى أجلّ الأخبار وهو ما أخبر به عن الله وأسمائه وصفاته ، ونعوت كماله فأخرجـــوه عن حقيقته ، وما وضع له ، وهذا القسم من الأخبار أشرف أنواع الحبر ، الإيمان به أصل الأيمان بما عداه واشتمال القرآن؛ بل والكتب الإلهية عليه أكثر من اشتمالها على ما عداه وتنوع الدلالة بها على ثبوت مخبره أعظم من تنوعها في غيره ، وذلك لشرف متعلقه ، وعظمته وشدة الحاجة إلى معرفته)[76].

**المطلب الثاني ــ التأويل سبب لكثير من الحوادث التي وقعت بعد وفاة الرسول- صلى الله عليه وسلم :**

انشغل الصحابة رضوان الله عليهم في بداية الدعوة بطاعة الله ورسوله. والعمل بما أمر الله واجتناب ما نهى عنه وفهم قواعد الاسلام ونشر الدعوة ، الجهاد في سبيل الله فلا مجال للاختلاف أو التأويل. فصاحب الرسالة بينهم وكلما حدث إشكال نزل الوحي. فلا جدال فيما أمر الله به. وإن حدث فأمره محسوم.

بقول عبدالجليل عبدالكريم سالم نقلا عن الغزالي: " والصحابة في أول أمرهم وقد سحرهم القرآن بنظمه وقوة أسره ، وشغلهم الجهاد مع أعداء الاسلام في فجره الأول ، والرسول - صلى الله عليه وسلم - بين ظهرانيهم يهديهم السبيل القويم. فقد يسأل أصحابه ما أشكل عليهم فهمه ، ولأنهم لم يسألوا عما أستأثره به لنفسه ، ولم يجادلوا في الله بغير علم ولا كتاب مبين ، ولم يتجرؤوا على ما لم يحيطوا بعلمه ولم يقدروا على

تصوره وادراكه ، كالآيات المتعلقة بذات الله وصفاته وعرشه ، ووجهه ويديه وسبب ذلك أن قلوبهم مفعمة بإيمان فطري خال من تعقيدات الفلسفة والنظر العقلي الدقيق)[77].

لقد سبّب التأويل الكثير من الوقائع والحوادث بعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى يومنا هذا وفي حياته- أيضاً - وسنتحدث في هذا المطلب عن بعض الحوادث التي حدثت في صدر الإسلام.

- قتل خالد بن الوليد جذيمة بن عامر بن عبدالله بن عبد مناة بن كنانة بالتأويل ، ولهذا تبرأ الرسول من صنيعة ، وقال:" **اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد**"[78].
- منع العرب للزكاة بعد موت رسول الله بالتأويل ، قالوا: انما قال الله لرسولـــــه ( **خُــذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** ) [79]. وهذا لا يكون لغيره فجرى بسبب هذا التأويل الباطل على الإسلام وأهله ما جرى.
- ثم جرت الفتنة التي جرّت قتل عثمان بالتأويل ، ولم يزل التأويل يأخذ مأخذه حتى قتل به عثمان ، فأخذ في الزيادة ، والتولد حتى قتل به بين علي ومعاوية بصفين سبعين ألفاً أو أكثر من المسلمين.
- وقتل أهل الحـــــرة بالتأويل ، وقتل يوم الجمل بالتأويل من قتل ثم كان قتل ابن الزبير ، ونصب المنجنيق على البيت بالتأويل ، ثم كانت فتنة عبدالرحمن بن الأشعث ، وقتل من قتل من المسلمين بدير الجماجم بالتأويل.
- ثم كانت فتنة الخوارج ، وما لقي المسلمون من حروبهم وأذاهم بالتأويل ثم خروج أبي مسلم وقتله بني أمية ، وتلك الحروب العظام بالتأويل. ثم خروج العلويين ، وقتلهم ، وحبسهم[80].

وبالنظر إلى الفتنة التي حدثت بين المسلمين وما أحدثته من شرخ عميق بين أصحاب الدين الواحد، إلا أن جوهر الإسلام لم يتزعزع ؛ ولكن من هم أصحاب الفتنة على وجه الخصوص ، هناك من نعت السلف بإشعالها، ولكن هل في عقيدة السلف جهل أو ضلال؟!. هذه التهمة باطلة من أساسها ولا قرائن تدل على ذلك وما كان للمشركين والجهلة أن يتقولوا ذلك إلا لحقد في نفوسهم أو نقص في عقولهم أو جهل في مسلكهم. وفي هذا الدليل الكافي على أن عقولهم لم تدرك حقيقة ما حصل. فليس في عقيدة السلف جهل ولا ضلال ، فإن الجهل بما ليس في قدرة الإنسان العلم به لا يعد نقصاً ، وإنما الجهل من يجهل ذلك ويجهل أنه جاهل ، وثق أن سبب ضلال الكثير من الناس وقتها راجع إلى عدة عوامل حسب رأيي نذكر بعضاً منها:

- تقديسهم لمن يعتقدون أنهم أئمة فيهتدون بهم.
- الكثير من الناس كلفوا عقولهم أن تدرك ما ليس من شأنه أدراكه ونسوا أن للعقل حداً يقف عنده.
- الجهل بما تحدثه الفتن من شق وحدة الصف. واستغلال المرضى لأصحاب النفوس المريضة للفتنة لبث سمومهم وأحقادهم.

ويتحدث ابن القيم على ما لحق الأئمة وعديد العلماء وما جـــرى لأهل السنة فيقول: (وما ضرب مالك بالسياط ، وطلب قتله إلا بالتأويل ، ولا قتل أحمد بن الخزاعي إلا بالتأويل ، ولا جرى على نعيم بن حماد الخزاعي ما جرى ، وتوجع أهل الإسلام لمصابه إلا بالتأويل ، ولا جرى على محمد بن إسماعيل البخاري ما جرى من نفي وإخراج من بلده إلا بالتأويل ، ولا قتل من خلفاء الإسلام وملوكه إلا بالتأويل ، ولا ما جرى على شيخ الإسلام عبدالله أبي إسماعيل الأنصاري ما جرى وطلب قتله بضعة وعشرين مرة إلا بالتأويل)[81].

ومن خلال ما ذكرناه نلاحظ أن ابن القيم يمقت التأويل الفاسد وأهله ، ويرجع ما لحق بالأديان والشرائع إلى تلك التأويلات التي لجأ إليها أتباع هذا المذهب الفاسد.

**المطلب الثالث ـ التأويل يفسد العلوم كلها إذا سُلط عليها:**

تناول الكثير من العلماء التأويل بشيء من الايضاح خاصة فيما يخص تسليطه على بعض العلوم التي قد يفسدها في حالة ما إذا كان المؤول تنقصه الخبرة والدراية في معاني الفاظ اللغة العربية ، ومن أولئك ما يعرف بالباطنية ، فقد قالوا : " معنى قول الله – تعالى - : ( **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** )[82]. قصد الرحمن من ذكر يوسف عليه السلام نفس الرسول وثمرة البتول حسين بن علي مشهوداً. إذ قال حسين لأبيه يوماً إني رأيت أحد عشر كوكباً وإن الله قد أراد الشمس فاطمة والقمر محمداً- صلى الله عليه وسلم -)[83].

ومن بين العلماء الذين نذكر لهم فضائلهم على جانب التأويل الصحيح الامام ابن قيم الجوزية ، فقد ذكر في مقارنة بين إمام المعطلين وإمام الموحدين يقول: (وإمام المعطلين المشركين فرعون فهو إمام كل معطل ومشرك إلى يوم القيامة ، كما أن إمام الموحدين إبراهيم ومحمد- صلى الله عليه وسلم - إلى يوم القيامة قال الله تعالى لإمام المعطلين وأتباعه :( **وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنْصَرُونَ)** [84]، وقال لإمام الحنفاء: ( **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ)** [85]، وقال لأتباعـــــه : ( **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً**

**يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)** [86] ، فلا يأتي المعطل للتوحيد الخبري بتأويل إلا أمكن المشـــرك المعطل للتوحيد العملي أن يأتي بتأويل من جنسه ، فكيف يُسلط التأويل على كلام من لا يجوز عليه الخطأ والغلط والتناقض والإرشاد ، هذا مع كمال نصحه وهداه وإحسانه وقصده الإفهام والبيان ، لا التعمية والألغاز)[87].

ومن الذين خاضوا في هذا المجال المعتزلة وتعتمد طريقتهم في التأويل على أساس لغوي ثابت ، فهم يحملون العبارات الدالة على التشبيه والتي لا يليق ظاهرها وباطنها بمقام الإلهية على تأويلات أبعد ما تكون عن الإيهام بالتشبيه ، مع تدعيم ذلك بالأدلة اللغوية المستمدة من الشّـــعر الجاهلي ، أو لغة العرب ، واستنباط ما يمكن استنباطه لدعـــهم أقوالهم ، وإلى ذلك يـــؤول معتزلة النصف الأول من القرن الثالث ، قولـــه - تعالى - : **(وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا )** [88]، على أن (الخليل) هو الفقير حتى ما يتماشى مع مقام الإلهية أي : إشارة فقيراً ، ويذهب شبهة التجسيم من الآية ، ويصبح الخليل - عليه السلام - مجرد فقير إلى رحمة الله)[89] ، ويربط بين التأويل والتوحيد القولي ، العملي ، الخبري ، والتوحيد القصدي ، الإرادي ، العملي ، ويأتي بأمثلة على النوعين سنتعرض لها مختصراً القول.

**أمثلة النوع الأول** : التوحيد القولي ، العملي الخبري : قوله - تعالـــى - :( **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ )**[90] ، وقوله - تعالى- : ( **قُولُـــوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)** [91].

**أمثلة النوع الثاني :** التوحيد القصدي ، الإرادي ، العملي : قوله- تعالى- : **(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)** [92]، قوله - تعالى- : **(قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)** [93].

لقد بيـــن الله سبحانه وتعالى الفرق بين من يدعو إلى الشرك والضلالة ومن يدعو إلى الايمان والهداية.

حاول المتأوّلـــون تسليط التأويل على آيات معينة ، مقصدهم من ذلك أن يصبح الشرع كله مؤولاً، وتلك غايتهم

ونختم هذا المطلب بأنه كلّما سلط المتأولون والمحـــرفون والزائغون والذين في قلوبهم مرض تأويلاتهم على نصوص الشرع الحنيف فسد الدين؛ ولكن الله الذي أنزل

القرآن من فوق سبع سماوات تعهد بحفظه وحمايته من التغيير والتبديل إلى يوم القيامة، قال - تعالى- : **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)** [94].

**الخاتمـــــة :**

بعد رحلة شاقة وممتعة جداً تناولت في هذا البحث المختصر آراء بعض العلماء المؤيدين لحقيقة التأويل ومعانيه بالعرض والتحليل. مع التعرض لما وصف السلفيون به من علم وحكمة كما جاء في كتاب الصواعق المرسلة لأبن قيم الجوزية. ثم عرجت على ما ذكره أهل البدع والجهمية والمعطلة من تشكيك في تأويل أهل السلف وأنه اقتصر على الإيمان بألفاظ القرآن والسنة من غير فقه ولا فهم لمقصد الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم -. ثم تحدثت عن التأويل عند أهل التفسير ، والتفسير عند أهل التفسير والسلف ، والتأويل عند المتكلمين ، كذلك تحدثت على التأويل الصحيح والتأويل الباطل وأنواعه. ثم تحدثت عن الفرق بين تأويل الخبر وتأويل الطلب وفصلت القول فيهما ، كما تحدثت عن آيات الصفات والأحكام ، ثم بينت بالدليل والبرهان أن التأويل الفاسد سبب فساد الدين والدنيا. وهو سبب مباشر لهدم أصول الدين. وأن ذلك من أسباب التقاتل والتطاحن وسفك الدماء بين المسلمين. ودللت على ذلك بخروج آدم من الجنة. ولعنة إبليس وطرده من رحمة الله . وكذلك غضب الله على اليهود ، وبينت بالتفصيل تلك الحوادث التي سببها التأويل بعد وفاة الرسول- صلى الله عليه وسلم -. وأخيراً تحدثت على ما يُلحقه التأويل من فساد بعديد العلوم مستدلاً ببعض الآيات القرآنية وبعض الأحاديث النبوية.

وأخيراً أقول لقد حاولت الاختصار ما وسعني ذلك رغم الأهمية البالغة لهذا الموضوع. فالمقام لا يسمح.

**النتائـــج:**

1- التفسير الصحيح للقرآن والسنة هما الطريق الموصل إلى مقصد التأويل.
2- من الضروري التفريق بين التأويل الصحيح والتأويل الباطل.
3- الرد على الجهمية والمعطلة وأهل البدع بالدليل والبرهان.

**التوصيات :**

1. حث البُحاث وأصحاب الرسائل العلمية على الكتابة في مثل هذه الموضوعات.
2. البحث على المخطوطات القديمة وتحقيقها فتلك ثروة نادرة.
3. ترجمة مثل هذه الكتب القيمة إلى عدة لغات

## الهوامـــــــــــــش :

1- التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا ، مكتبة الثقافة العربية ، ط:1 ، 1425هـ 2004م . ص: 20 .
2- لسان العرب ابن منظور ، مادة أول 32/11، وما بعدها دار صادر . بيروت ، والقاموس المحبط الفيروز آبادي ط، 2 ، المطبعة الحسينية . مصر 3/ 313 .
3- سورة الأعراف ، الآية : 53 .
4- سورة ال عمران الآية : 7 .
5- مفردات الراغب الأصفهاني ، ص : 99 .
6 - الإحكام في أصول الأحكام : الآمدي ، دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان . 49/3
7- الصحاح للجوهري ، تحقيق : أحمد عبد العفار عطار دار الكتب العلمية للملايين ط: 2، بيروت - لبنان . ص: 248.
8- أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الصوم ، باب حق الأهل في الصوم ، حديث رقم 1977 ، 85/2، ط: 1420 دار الحديث القاهرة .
9- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، دار العاصمة . الرياض 175/1 .
10- سورة النساء ، الآية ، 59 .
11- سورة الأعراف ، الآية : 53 .
12- سورة البقرة ، الآية : 210 .
13- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 176 .
14- سورة يوسف - عليه السلام - ، الآية : 100 .
15- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 77 .
16- سورة الكهف ، الآية :82 .
17- أثر اللغة في اختلاف المجتهدين : عبد الوهاب طويلة عبد السلام ، ط: 2، 1420هـ . دار السلام القاهرة . . ص: 260 .
18- الاتجاه العقلي في التفسير : نصر حامد أبـــو زيد ، دار التنوير للطباعة والنشر . بيروت - ط: 2، 1983م . ص: 164.
19- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 180
20 - المصدر نفسه ، ص: 177 .
21- سورة الفرقان ، الآية ، 33.
22- مختار القاموس : الطاهر الزاوي ، دارب العربي للكتاب ، 1983م ، ص: 477.
23 - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 178.
24- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية . بيروت لبنان . حديث رقم 6280 ، 615/3.
25- أخرجه البخاري في صحيحه ، باب قول النبـــي - صلى الله عليـــه وسلم - إذا رأيتم الهلال فصوموا ، حديث رقم 1906 ، ومســـلم في صحيحه ، كتاب : الصوم ، باب : وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال والفطر لرؤيته ، رقم الحديث 1080 . 2/ 759 .
26- فتـــح الباري بشرح صحيح البخاري ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا رأيتم الهلال فصوموا. تحقيـــق : محمد فؤاد عبد الباقي . 4/ 122، دار المعرفة . بيروت . ط/ 1379هـ .
27- سورة النساء ، الآية 164 .
28 - فتح الباري 11/ 102 ، كتاب الدعوات ، باب التوبة ،حديث رقم 6308
29 - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 203 .
30- القواعد الفقهية للدوي ، ص: 131 .
31- المناهج الأصولية للدريني ، ص: 177 .
32- الإحكام في أصول الأحكام : الآمدي ، 3/ 50 .
33 - سورة الإسراء ، الآية : 36

34- الموافقات : الشاطبي ، 74/3 .
35- سورة البقرة ، الآية : 228 .
36- سورة الأحزاب ، الآية : 49 .
37- سورة الطلاق ، الآية : 4 .
38- سورة النساء ، الآية : 125 .
39 - الموافقات : الشاطبي ، 3/ 75 .
40- أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجنائز ، باب : قول النبي - صلى الله عليه وسلم - يعذب الميت ببكاء بعض أهله عليه ، حديث رقم ، 1280 .
41- ســـورة الإســـراء ، الآية :15 .
42- المناهج الأصولية : الدريني ، ص: 189 .
43- إرشاد الفحول : الشوكاني ، 2/ 517 .
44- سورة المائدة ، الآية : 6 .
45- أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب : الصلاة ، باب : ما يقال في الركوع والسجود .
46- سورة الفتح ، الآية : 27 .
47- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 183 .
48- المصدر السابق ، ص: 187
49- سورة آل عمران ، الآية ، 7 .
50- إرشاد الفحول : الشوكاني ، 513/2 .
51- سورة الشورى ، الآية : 11.
52- زهرة التفاسير : محمد أبو زهـــرة ، 2/ 1113 .
53- سورة ص : الآية 75 .
54- سورة الأنعام ، الآية ، 158 .
55- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 187 وما بعدها .
56- سورة آل عمران ، الآية ، 7 .
57 – سورة ال عمران ، الآية : 7
58- سورة الفتح 10
59- سورة القصص 88
60- سورة طه ، الآية: 5
61 - الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 205
62- ســـورة آل عمران ، الآية : 7 .
63- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 207 ,
64- سورة البقرة ، الآية : 237.
65- سورة النساء ، الآية : 43.
66- سورة الأعراف ، الآية : 204 .
67- سورة المائدة الآية: 3
68- سورة البقرة ، الآية : 187
69- سورة البقرة ، الآية :186
70- سورة البقرة ، الآية :196
71- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 211 .
72- المصدر السابق ، ص: 210 .
73- التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا : عبد الجليل عبد الكريم سالم ، مكتبة الثقافة العربية ، القاهرة ، ط: 1، 1425هـ 2004م ، ص: 56 .
74- سورة الأعراف ، الآية .

75- سورة البقرة ، الآية:
76- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 211 .
77- التأويل عند الغزالي نظرية وتطبيقا : عبد الجليل عبد الكريم سالم ، ص: 56 .
78- رواه البخاري
79- سورة التوبة ، الآية :103
80 - الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 211
81- المصدر نفسه
82- سورة يوسف ، الآية ، 4
83- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 188
84- سورة القصص ، الآية :41
85- سورة البقرة ، الآية : 124
86- سورة السجدة ، الآية : 24
87- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 188
88- سورة النساء ، الآية : 125
89- الصواعق المراسلة على الجهمية والمعطلة ، ص: 188
90- سورة الإخلاص ، الآية : 1
91 - سورة البقرة ، الآية :136
92- الكافرون ، الآية : 1
93- سورة آل عمران ، الآية : 64
94- سورة الحجر : الآية 9